

# قضايا الأدب والأدباء

مهرجان بلا شعر  
بقلم غالي شكري

من أكثر البحوث جدية ، كان البحث الذي ألقته الدكتورة سهير القماوي « حول التجديد في الشعر المعاصر » . قالت أن التجديد يولد في ظل القديم ، متفاعلا مع تيارات خارجية وافدة . وأن ولادة الشعر الحديث في القرن الماضي كانت نتيجة الاحتكاك بالقرب . وأكدت على أن سلطان القديم في الأدب العربي بلغ من القوة أنه « لم يكن فاصرا على قرص أوزان وفواف بل انه كان يتجلى في فرض موضوعات بل هو قد امتد الى فرض صور وتعبيرات وألفاظ مما كان دائما هدف هجوم المجددين » . وفي مكان آخر من البحث تقول : « ان سلطان الشكل القديم في القصيدة العربية طاع قد ناضل ( لاسباب ليس هنا مجال شرحها ) في النفس العربية بحيث أصبحت لا تطيق خلخلة ضخمة فيه . وما حدث من قبل من تجديد في تنوع القافية على أشكال لا تخفى وتنوع الوزن على أشكال عديدة لا يمكن ان يصل الى ما نحتاج اليه اليوم في الشعر الحديث » . والدكتورة تعتبر أن من دعاوى المجددين ادخال العامية الى الشعر ، فتستطرد : « أما ادخال العامية فالأمثلة عليه أكثر من أن تحصى في شعر شعرائنا المحدثين . ولا شك أن كل اسراف في الحرية يؤدي حتما الى عكس المطلوب منها لان الحرية الحقبة معناها قيود جديدة لو تأملنا » . ثم تنتهي الى أن المدرسة الرومانسية هي التي حملت بذور مشكلة الشعر المعاصر . وتحدد مأخذها على هذا الشعر بقولها :

« ان شعراءنا المحدثين فيما أرى لا يقدرون بعمق خطر الرسالة التي يحملونها . ومن مظاهر عدم التقدير اهمالهم اتقان ادانهم الاولى . وليس معنى هذا أن يكرروا ما كرهه شعراء فترات الركود من صور باهتة وتعبيرات متخفية ، وانما معناه أن يرهفوا حسهم اللغوي وذوقهم التصويري بحيث يجددون في عمق ولكن بشعر عربي واسلوب عربي . والدارس لبعض شعرنا الجديد يلمس في يسر وسهولة مدى ما يتوفر له الشاعر ، وهو يدخل التجديدات في التعبير ، من خطر الانحراف الى نماذج لا يسيفها ذوق اللقطة » .

« .. والذي لا يمكن أن نجادل فيه هو أن الموسيقى مقوم أساسي في الشعر . والموسيقى معناها تصميم ، معناها بناء هندسي يستعين بالوقوف وبالحرية ، بالنظام والتكرار على خلق جمال هندسي منه التوافق والانسجام . ولا يمكن أن يسمى شعرا تعبير استغنى عن كل صور الموسيقى ، ولكن أسمى ما يكون من أدب ولكنه ليس بشعر . واذن فالوزن والقافية وحدات ضرورية ليكون هناك قصيد » .

« ودفاعا عن القافية تذهب الباحثة الى أنه « لما كانت القافية المكررة وسيلة من وسائل افراد البيت بكمال معناه ، نوع الشعراء في القافية وقصوا قصصهم دون قطع . وكان مطران من رواد هذه الحركة » . « ان القافية عامل تفرّد من حيث المعنى ولكنها عامل تجميع من حيث الموسيقى . والشعراء المحدثون يريدون لمعانيهم الفاضلة المشعثة أن تتجمع حول نقطة تمعقها وتركزها ، لذلك ابتكروا ألوانا من الوقفات ولا أقول القوافي ولكن منهم من راح يقطع البيت لسبب ولفسر مما سبب » .

وليست هنا مجال مناقشة كل ما جاء في بحث الدكتورة سهير ، بالرغم من أنه كان أكثر البحوث جدية وتركيزا وهجوما على الشعر الجديد . وسوف تقتصر على مناقشة ما تأخذه على هذا الشعر من أوجه الضعف فيما ترى . وأبدأ من الكلمات الإيجابية التي وردت في قولها : « وهدفنا من هذه الكلمة ان نمعن النظر في هذه الجهود الاخيرة وان ندعو الى تقييمها وأن نبه الى خطورة تركها تتفاعل تفاعلا عفويا دونما

عندما يتربع العقاد على عرش السلطة الادبية والفكرية في مصر ، فان ذلك يعني اهدار كافة القيم الثورية ، وتعطيل أعظم مكتسباتنا عن الامتداد . فالامر لا ينحصر في هذا المهرجان أو ذلك ، وهذه المسابقة أو تلك ، وانما هو يتحدد في تلك الهوة العميقة بين القيادة السياسية للثورة ، والقيادة الفكرية للمجتمع . فالوجه الرسمية للتعبير عن مجتمعنا الثوري المعاصر ، هي بيمينها الوجوه التي عبرت عن مجتمعنا المحطم الفاسد . ومهما كانت لدى الانسان قابلية ضخمة للتطور ، ومسيرة الزمن ، فان ذلك يصدق عليه وهو يجتاز أولى خطوات تطوره ، لا وهو على اعتاب القبر . والواجهات الأساسية للثقافة العربية في مصر اليوم قد بلغت شيخوختها حدا تتعذر معه عملية التطوير ، ولذلك فاصحابها لا يسايرون الزمن وانما يسايرون « الظروف » .

غير ان مسيطرة الظروف تقتصر عادة على النفاق السياسي ، لانه المحك المباشر بالسلطة ، وغالبا ما تغلب الاوضاع وتصبح الظروف هي التي تسير اولئك الشيوخ . ونحن ابناء الجيل الجديد لا نضمّر سوءا لروادنا وأساتذتنا ، فقد كانوا الينابيع الاولى التي نهلنا منها .. ولكننا نقول بانهم ليسوا في مستوى المرحلة الثورية الجديدة التي نعيشها . وأنه ينبغي ألا يتحول احترامنا العميق لهم ، الى احترام للقيم التي يحملونها . فمن المتناقضات المرة مثلا ان يسيطر شاعران مثل صالح جودت ومحمود حسن اسماعيل على مقاليد الشعر في الاذاعة والمجلس الاعلى للإدب والفنون ، وهما اللذان أنشدا للملك ما نخجل الان من تسجيله . أقول ذلك ، لا لنتقص من هذين الشاعرين ، فقولي ليس خيرا جدينا ، وانما لنتساءل : كيف يمكن لامثالهما أن يقودا الاجهزة الفكرية في عهد الثورة ؟ الجواب أنه حفاظا على هذه المناصب اللامعة ، يستعدي صالح جودت السلطات ضد الشعراء الجدد بدعوى أنهم « قرامزة » ، ويعول العقاد نماذجهم في مسابقة الشعر « الى لجنة النشر للاختصاص » وتحرّمهم الهيئة المشرفة على مهرجانات الشعر من التعبير الاصيل عن ثورتهم . وأقول « ثورتهم » ، لانها لم تكن ثورة صاحب ديوان « الملك » ولا ثورة صاحب « أغنية الفن » ولا ثورة الذي وصف فاروق بأنه « فيلسوف » . اننا لا نتشقى ، ولكن العار يضغظ على رؤوسنا ضغظا مخيفا . ولن نموت قبل ان نترك بصمات شهادتنا .

\*\*\*

لقد أصبحت مماركنا الادبية محددة المعالم من قبل أن تبدأ .. فاذا تناولنا قضية القديم والجديد في الشعر ، أو أزمة النقد الادبي والفني ، أو أزمة الصحافة ، أو اللغة ، تتحول المعركة بسرعة من مستواها الفني والفكري الى المستوى السياسي ، فيصبح كل مجدد أو داعية الى التجديد « يساري مخرب » ، وكل محافظ على التقليد يتصدر الواجهات الرسمية للسلطة . وهذه الحال ، لو سارت عليها الحياة الادبية والفنية عندنا ، خمس سنوات أخرى ، فلسوف نشيع السى الجحيم أروع انتصاراتنا الفكرية . ويومئذ سينحطم المعبد فوق الجميع ، لن يبقى جديد ولا قديم .

\*\*\*

ان مهزلة المهرجان الرابع للشعر ، وما سبقه وما تلاه من ألوان العناية الرخيصة ، لهي مثال قوي لما نذهب اليه من أن أرضنا الفكرية والادبية والفنية مهددة بأن تسمي أرضا خرابا . ولست أود ان اخوض فيما سبق هذا المهرجان من مهرجانات ومهازل .. لانني أريد في هذا المقال ان اعرض للمادة الخام التي صاغت هذا المهرجان من بحوث وشعر حتى نقف على معالم الكارثة التي تندرنا بالتبديد والضياع .

توجيه مخلص أو توجيه دارس) . وكذلك : « أن شاعرا عبقريا واحدا يستعمل الشكل الجديد يمكن ان يفرضه علينا فرضا . ولكن هل هيانا بالدرس المنصف المخلص لبروز نجم هذا الشاعر ؟ »

أبدا من هذه السطور الإيجابية ، فأؤكد للاستاذة الباحثة ان الشعر الجديد لم يقدم شاعرا واحدا ممتازا ، وانما قدم في كل بلد عربي أكثر من شاعر . ولكن غياب نماذجهم عن الدراسات الجادة الموضوعية من جانب الاجيال السابقة عليهم ، هو الذي أبرز ما يشبه الاحساس بالذنب لدى الباحثة فيما يتعلق بنهضة السماء العربية لظهور النجوم الجديدة . ويعني في الكثير ان اسرد للدكتورة سهر ما سمعته من احد نقادنا الكبار - وهو استاذ بالجامعة في نفس الوقت - فقد انتهى من تأليف كتاب حول حركات التجديد في الشعر العربي دون أن يعقد فصلا خاصا بالشعر الجديد ، بالرغم من إيمانه به كما يظهر من مقدمة ديوان له ، ومن دراساته العديدة في الصحف والمجلات . قال لي بالحرف أن ما يثار حول هذا الشعر من تفسيرات سياسية تتهم اشباعه وانصهاره بالقرمزة يحول بينه وبين ان يفرد له فصلا نقديا في كتابه عن التجديد . فاذا عبرنا خلو الدراسات الجامعية من تقييم هذا الشعر ، فاننا سوف نلتقي بالجاهل التام من جانب الاجهزة الرسمية الاخرى في المجلس الاعلى للاداب والفنون ووزارة الثقافة والارشاد القومي . ولقد أدى الارهاب من جانب مؤسسات العقاد وصالح جودت والتجاهل من جانب الاخرين ، الى أن بنى بعض الباحثين المخلصين عن الحركات الجديدة في الشعر ، فاتخذت فئات منهم موقفا سلبيا هو الحياد ، واتخذت فئات أخرى موقفا معاديا على اساس التقاط عفوي للنماذج ، وفهم مبتسر للحركة ، وتفسيرات سطحية لظهورها .

والدكتورة سهر القلمواوي من الفريق الثاني الذي يعتمد على الصدفة والعموية . ومن هنا يلتقي بنماذج شائنة تفقده الثقة في دلالة الحركة الجديدة . كما أنه يضع يديه على جزئيات الحركة دون الوصول الى جوهرها وشمولها . والا فبماذا نفسر ما تقوله الباحثة عن الحس اللغوي عند الشعراء الجدد ، من انه يكاد يكون معدوما لديهم ، ومن هنا تكون الفوضى في التكوين الجمالي للقصيد الجديدة . فلو انها درست النماذج الهامة في شعر بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وخليل حاوي وصلح عبد الصبور وغيرهم من أبناء الطبيعة في هذا الجيل ، لادركت أن الجديد في شعرهم ليس هو « الشكل » العام للقصيد ، ولا هو « المضمون » . . وانما الجديد هو « الرؤيا » الفنية التي يبصر بها الشاعر عالمه . واللفظة هنا تؤدي وظيفة جديدة للغاية . فهي ليست أداة للتكامل الموسيقي ، أو أحد خطوط الصورة . . انها تحمل شحنة ذهنية ونفسية تسهم في تكوين « الرؤيا » الشاملة للشاعر . ولربما لا تجيء هذه الرؤيا كاملة في قصيدة واحدة أو عدة قصائد ، بل ربما لا نحصل عليها في ديوان كامل . . وهكذا قد تظل ناقصة امدا طويلا ، ولكن هذا لا يلقي طبيعة القصيد الجديدة من كونها تكشف لنا عن « الرؤيا » التي يراها الفنان ، مهما كانت القصيدة قاصرة عن كشف جميع الجوانب الخاصة بهذه الرؤيا . بل ان هذه الرؤيا بينها تزداد عمقا وتعدد أبعادها ، كلما عمقت تجربة الشاعر وتمددت مناسبتها . وهذا يتطلب من الناقد ملاحقة الشاعر الجديد في رؤياه ملاحقة لاهثة لا تخضع للميزان التقليدي في النقد . لذلك تختط اللفظة في الشعر الجديد مجرى جديدا تماما لا يخضع لتنسيق الانظمة القديمة في اختيار اللفظة وتكوين البيت وهيكل القصيد . وما تراه سهر من « فوضى » لغوية في الشعر الجديد ، هو مجرد « شذوذ » عن الحس اللغوي التقليدي . وما دامت هي نفسها تقول « من المسلم به أن الخليل لم يدرس الاوزان نظريا أو عقليا وانما هو أحصى ودرس واستخرج القاعدة » فان المطلوب إذن هو احصاء الشعر الجديد ودراسته واستخراج قواعده . والمطالعة العابرة للكتابات النقدية حول الشعر - الحر توميء بهذه القواعد وتشير اليها وتخطط لها وتؤكد أنها أصعب مثلا بكثير من قواعد الشعر التقليدي .

وعندما تكون اللفظة ذات دلالة خاصة في شعرنا الجديد ، فان

موسيقاه تتغير تبعا لذلك من المعنى البتسل للموسيقى الى معنى يجسد ادق خلجاتنا وهمسات ذواتنا لا من خلال ضجيج القوافي التي تلهث وراء حواسنا الخارجية . وعندما تتحدث الدكتورة عن القافية والبيت في الشعر العربي ، تلتقي نهائيا اية قابلية للنظور في هذا الشعر . . وهي بذلك تلتقي مع الاستاذ العقاد في قوله أن الشعر العربي دون اشعار العالم يتصف بقدرة على التجدد في حدود القافية والاوزان القديمة . غير أن العقاد يضيف بعد ذلك في بحثه أمام المهرجان :

\* « . . لا يوجد في آداب العالم فن يقبل التجديد غير فن الشعر في اللغة العربية ، او لا يوجد فن للشعر مستقل بقوامه لا يتوقف على فنون الفناء أو الرقص او التمثيل غير فن القصيدة العربية » .

\* « . . فن الشعر العربي يتجدد وهو فن الشعر بقوامه من الوزن الاصيل في تركيب اللغة العربية ، فليس للموشحة الاندلسية فن غير فن العروض حتى في القصيدة الجاهلية ، بل ليس للزجل العامي فن غير فن الموشحة والقصيدة في أساس التركيب » .

\* « . . وسبب هذا الفارق بين الشعر العربي والاشعار الغربية أن هذه الاشعار الغربية لم تستقل قط عن فنون الفناء والرقص والتمثيل وما يشبه التمثيل ، سواء في انشاء الجماعة أو انشاء الافراد » .

والعقاد بذلك يتنازل عن رأيه القديم في ان الشعر الاوروبي لم

يصب بسوء (والسوء في عرفه هو التجديد) ، ولكنه يفسر تطور وتجديد

الشعر الاوروبي على أساس ارتباطه بالفنون الاخرى كالرقص والتمثيل

والفناء ( الاوبرا مثلا ) . . الخ . ولست أعتقد أن ناقدا أو مؤرخا جادا

يعتمد على هذا العنصر البتيم لتفسير هذه الحركة الكبيرة . بالاضافة

الى ذلك يبرز سؤال جديد : كيف تؤثر تلك الفنون في الشعر وتطور

به ؟ هل هي تمتلك مؤثراتها في جوهرها المحرر ، أم انها محاطة بمجموعة

من الظروف تعمل على تطويرها « وتطوير الشعر معها » ؟ . واذا كانت

هناك ألوان من الشعر الاوروبي والامريكي لا تتصل اطلاقا بالفنون

الاخرى ، فكيف لنا أن نفسر تطورها المستقل ؟ واذا كانت تلك الفنون

تمتلك قدرة ذاتية على التطور ، تتميز بمثابة المحرك الذي يطور الشعر ،

فهل يعني ذلك أن الشعر كواحد من هذه الفنون قد خلا من هذه

الامكانية ، هذه القدرة الخاصة على التطور ؟

يجيب العقاد بان الشعر العربي وجدته ، هو الذي انفرد بالقدرة

الذاتية على التطور مستقلا عن أية فنون أخرى ، فهل هذا صحيح ؟ الم

يمتزج الشعر العربي في مختلف مراحل تطوره بالوان من الرقص

والفناء ؟

ان الاجابة على هذه المجموعة من الاسئلة لا يمكن صياغتها في سطر

أو عدة أسطر ، وكل ما نستطيع أن نقوله في هذا المجال الضيق أن

الرقص والفناء وغيرها من الفنون لا تمثل الا عنصرا واحدا من عناصر

المركب الحضاري الدافع للشعر الى التطور . واذا كانت الحياة العربية

قد خلت من بعض عناصر هذا المركب ، فان هذا لا ينفي وجوده أصلا ،

لا ينفي النظم الاجتماعية والتيارات الفكرية والحالات النفسية ، الصانعة

للتكوين الحضاري ككل .

وما يشبه العقاد من اعتراضات موضوعية حول الشعر الجديد ،

نقابله باحترام بالغ العمق ، غير أنه سرعان ما يهجر الموضوعية ويتحول

الى شيء لا يريد ان أسميه ، كسان يصمم الشعراء الجدد

باتهامات تؤدي الى السجن ، كما جاء في بحثه أمام المهرجان الذي قال

فيه « ان فن الشعر - العربي - يتجدد وهو على قوامه الذي ينمو ويتنوع

ولا يبطئ أو ينقص ، وعلى هذه الوتيرة يتسع له مجال التجديد الى غير

نهاية في المستقبل ، ولا حاجة باحد الى ابطاله او نقضه لفرض ممن

اغراض الفنون ، الا ان يكون هناك غرض سيء لا يخفى على طلابه »

وقد سبق للعقاد أن شرح هذه الاغراض السيئة ، ولونها باللون

الاحمر الزاهي . وظل مندوبه « منشد الملك » صالح جودت يؤكد على

هذا اللون في كل مناسبة ، وبغير مناسبة .

كم كانت بحوث المهرجان بحاجة شديدة الى ما صدر به الدكتور

- التتمة على الصفحة ٧٩ -

## قصايا الادب والأدباء

- تنمة المنشور على الصفحة ١٥ -

زكي نجيب محمود بحثه قائلا «.. ونخلص من هذا الى مبدئين هاميين في قبول الشعر الجديد : اولهما ان يكون قد جاء ليصوغ حالات لم تخرج من قبل الى عالم الصياغة اللفظية ، وثانيهما الا تكون هنالك وسيلة اخرى غير الشعر لقيد تلك الحالات الجديدة » .

غير ان انعدام الديموقراطية في الاشراف على المهرجان ، والارهاب الفكري الذي سبقه وصاحبه وتلاه ، لم يتح للشعراء الجدد ، او لنقاد آخرين ، ان يعرضوا وجهة نظرهم . بل ان واحدا من المتحدثين لم تلفت نظره ارقام التوزيع للدواوين الجديدة التي بلغت بواحد منها خمسة عشر الفا من النسخ ! لم يتساءل احد : لماذا تقبل دور النشر على اصدار هذه الدواوين ، ولماذا يقبل القراء على شرائها ... بينما تخسر موجة الشعر التقليدي وتتضائل على مستوى النشر والقراءة .

ان مؤسسة العقاد ، ولا اقول لجنة الشعر ، تدافع بصرامة واستمانة عن بقائهما بين لجان المجلس الاعلى للادب والفنون ... فالانظار الان تتجه الى القرار الجديد الذي لم يصدر بعد بتشكيل مجلس الادارة بعيون ملؤها الامل .

الامل في ان يصبح المجلس وجها شرعيا للثورة . فيدخل الميثاق الوطني الى مجال التطبيق في دوائر الادب والفن .. حتى لا تخلف الثورة الفكرية عن ركاب الثورة السياسية ، بل ينبغي ان تسبقها لتضيء امامها الطريق .

والقصائد التي تليت على الحاضرين في مهرجان الشعر ، لا يمكن اعتبارها بحال وجها اصيلا لثورتنا ، ولا تعبيرا مضيقا لخطواتنا .

\* \*

تنشد لورا الاسبوطي للثورة ، فتقول :

حرد الضلال من البلاد ولم يدع فيها انتهازيا ولا رجعييا  
واعاد للفلاح ارض جودده ففدا بما قد ناله مرضيا  
رد الفناة لاهلها من غاصب واعاد محتل القناة شقيا  
واقام للتصنيع شعبا ناهضا سبق الزمن تقدما ومضيا  
ويخاطب الاستاذ محمد طاهر الجبلاوي العضو بلجنة الشعر ،  
فصول ، السنة قائلا :

هوذا ربيع الصيف بحر زاخر عذبت نسائمه وموج مزهر  
اني ذهبت فشم وجهه مشرق يقري بطلعته وحسن ياسر

ثم يقول للشقاء :

شمس الشتاء مرادي ومتعتي في الشتاء  
المساء والزهر عندي في حسنهما والرواء  
اذا جلست اليها نسيت برد المساء  
وخلت نفسي بنينا فسيحة الارجاء  
دنيا روى وخيال وذكريات ظمء  
تطيف بي حائضات مع السني الوضاء

وتفني روحية القليني لبنت الجزائر :

بنت الجزائر قاتلت مثل الفتى وتذرعست بالصبر والايمنان  
وجميلة مثل البطولة والفتى فاقت بطولتها قوى الشجمان  
ويردد الاستاذ العوضي الوكيل :

حمدت الله ان عشت الى ان سادت العرب  
واجلوا عن مراتبها الاذى وانجابت الكرب  
ونال الشعب خير الارض لم يستجد من لهب  
وعم الخير اهليها وفاض بها ولا عجب  
وكل عامل يسمو به الاخلاص والسداب  
وتهدى جليلة رضا الى امة العرب قولها :

شيطان دونهما الوجود هباء وحياتنا هي والفساء سواء  
حرية وكرامة .. وهما هنا في مصرنا .. ميراثنا الوضاء  
اما صالح جودت فيخاطب الاسكندرية :

يا كعبة العلم يا تاريخ نهضته ومن ببايك اعلام الحجي نشاوا  
تبنا اليك ، وصلينا لجامعة العلم فيها سائخ مريء  
ما اخلق العلم بالتأميم في زمن عدل يؤم فيه الماء والكلأ

\* \*

لست اريد ان استرسل في ايراد هذه النماذج الصيبانية ، ولكن  
اسأل الدكتور زكي نجيب محمود : هل عثرت في هذا الكلام على  
( حالات نفسية لم تسبق صياغتها اللفظية ) ؟ وهل ترى ان هذا الكلام  
( لا يمكن صياغته ثرا ) ؟

يخيل الي ان هذه النماذج تثبت شيئا واحدا ، وهو ان الشاعر  
يتوقف عن ان يكون شاعرا حين تصبح كل مهمته هي رصف الكلمات على  
هذا النحو الذي شهدناه في جنازة الاسكندرية للشعر كما قيل .  
وكنت اود لو ان العقاد او سهر القلماوي او زكي نجيب محمود ،  
كلف احدهم نفسه بدراسة مواد المهرجان ، قبل ان يقحموا انفسهم في  
قصايا الجديد والقديم . فما قيل ليس جديدا ولا قديما . لقد خلا  
المهرجان تماما من الشعر .

غالي شكري

دار الثقافة بيروت

تقدم الكتاب السادس من

المكتبة الاندلسية

ريوان الاعمى القطيبي

أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة

( - ٥٢٥ )

حققة

الدكتور احسان عباس

الجامعة الأميركية - بيروت

يطلب هذا الكتاب من الناشر

دار الثقافة

ص.ب ٥٤٣ بيروت

ومن مكتباتها : مكتبة دار الثقافة

ساحة رياض الصلح

ومكتبة الجامعة - شارع بلس

( عمارة سينما اديسون )